للزيتون رائحة الصباح،
وأنا أحب الصباح كثيراً..

زيتون

زيتون | جريدة أسبوعية | تصدر عن شباب إدلب وريفها السنة الأولى | العدد (4) | الخميس 24 / 1 / 2013
facebook.com/ZaitonMagazine zaiton.mag@gmail.com

أسبوعية | تصدر عن شباب إدلب الأحرار
السنة الأولى | العدد (4) | 24 / 1 / 2013

استعادة السوريين للمجال العام وللفعل السياسي

تَنبهتُ في التسعينيات من القرن الماضي إلى أهمية "التحقيقات" العلمية للمحدّث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، ولكن بما أن اسمه كان في اللائحة السوداء (منذ مطلع الثمانينيات وحتى 1997 حين صدر عفوٌ رئاسي عنه) كنّا نتحصل على نسخٍ من كتبه بطرق غير شرعية عبر تصويرها، وأذكر أن زميلاً لنا في الدراسة كان يتولى تلك المهمة ويتعيّش منها أثناء إقامته في دمشق، عرفنا فيما بعد أنه اختفى أو "أُخفيَ" من قِبَل إحدى الجهات الأمنية. وفي السنوات الأولى من حكم الوريث بشار الأسد أوقفتني السلطات السورية حين كنتُ قادمًا من بيروت ومُحمّلا بالعديد من الإصدارات الحديثة؛ بذريعة أن إدخال الكتب ممنوعٌ قانونًا، وما هي إلا لحظاتٌ حتى سارع رجل الأمن إلى الاتصال "بمعلّمه" قائلا: "سيدي! وجدنا معه كتب!" وبعد جهد جهيد سمحوا لي بالدخول من دون الكتب التي عادت أدراجها مع سائق التاكسي!.

دلت هاتان الحادثتان على أن شيئًا لم يتغير في بنية تفكير النظام، وهما حادثتان تكثّفان العالم الذي كان ولا يزال يحرص النظام على صناعته والتحكم به، فهو يحتكر "الحقيقة" ويقرر ما يجب وما لا يجب، وإذا كان "أبو غدة" خصمًا سياسيًّا له فلا بد من تصفية ذِكره مطلقًا، لا فرق بين حقل السياسة وحقل العلم، فالنظام هو الذي يقرر الحقائق بأنواعها، ولذلك ليس غريبًا أن السوريين عاشوا لعقود دون أن يتمتعوا بحق الحصول على المعلومات إلا ما تجود عليهم السلطات به؛ بوصفه الحق الذي لا يأتيه الباطل. كما أنه لا وجود مستقلاً للحقيقة، فهي لا توجد إلا مسيسة عبر منتِجها الأوحد، وعبثًا يحاول غيرُ السوريين فهمَ أطروحة النظام الإطلاقية في تكذيب كل من لا يقول بمثل قوله، مع إغلاق كل الأبواب في وجه الإعلام، على قاعدة: (ما أُريكم إلا ما أرى)، ليبقى المتلقي/المواطن في دوامة معضلة تضارب الروايات بين "الرواية الرسمية" و"رواية المعارضة أو قنوات الفتنة" التي هي كل قناة لا تقول (مثل) الرواية الرسمية.

اعتاد السوريّ عبر أربعة عقود ألا يكون له رأيٌ مختلف، بل ألا يكون له رأيٌ أصلاً في مسائل الشأن العام، أو في مسائل التدبير السياسي؛ لأنه كان يعلم علم اليقين أن عليه رقيبًا عتيدًا، والخوف الذي نما وترعرع قضى على أي إمكانية في التعبير عن مكنونات النفس حتى في الغرف المغلقة، فكثيرًا ما كانت تنهاني أمي عن التفوه بأي كلمة مناهضة أو مخالفة للسلطة حتى في غرفة بيتنا المغلقة!. وحين شرعت في مطلع العشرينيات من عمري بتدريس اللغة العربية لم ألبث أن استُدعيتُ إلى أحد الفروع الأمنية ليُحَقَّق معي، ثم فوجئت بأنهم طلبوا مني التخابر معهم عن أي حركة غريبة تصدر من الطلاب والمدرّسين في المدرسة الثانوية، وهكذا كانوا يفعلون مع كل زائر!. بل حتى السجين السياسي أو المعارض يُفرَض عليه الإقرار على نفسه والتنصل من كل أفكاره الشيطانية المخالفة للحقيقة المطلقة الثاوية في رأس وعقل النظام، ما يعني أننا أمام إرادة سياسية طاغية طغيانًا مضاعفًا؛ إذ تفرض النفاق على الدوام في المجال العام، وهي غير معنية أصلاً بالمقدرة الإقناعية للحقائق الرسمية ولا حتى بوجود المقتنعين، بل يكفي مجرد التلفظ والإقرار الظاهري، ولذلك لم يكن غريبًا أن انسحب السوريون من المجال العام الذي استولى عليه النظام بالكامل وتُرك للناس حريةُ "إضمار" ما يشاؤون في نفوسهم، وبهذا تحول السوري من مواطن مسيّس شديد التسييس حتى مشارف الستينيات إلى مواطن مشغول بنفسه فقط ويدفع ضريبة مواطنيته أوزارًا وأثقالاً لا تقف عند حد!.

إلى بعض هذه المعاني نحيل حينما نتحدث عن النظام السوري بوصفه نظامًا شموليًّا، يسيطر عليه الفكر الواحد والحزب الواحد والقائد الأوحد الذي تتناسل منه كل السلطات والحقائق، والمسألة الأهم هنا، أنه في الأنظمة الشمولية لا مجال للاعتراف بوجود ما يسميه الفيلسوف الألماني يورغان هابرماز "المجال العام"، ويعني به الفضاء المشترك الذي يتجمع أو يلتقي فيه الناس معًا، ويناقشون - بحرية - المشكلات المجتمعية المحدّدة لتشكيل رؤى وتصورات مشتركة عنها، فالتجمع ممنوع إلا على سبيل التخفي والإحساس بالجرم، وتشكيل الرأي لا يملكه إلا "أولو الأمر" الذين وحدهم يملكون الوطن وتصوراته ويقبضون على مصالحه العليا التي لا يعرفها سواهم.

وانعدام المجال العام يرجع إلى أن العمومية إنما تنشأ في ظل وجود دولة حديثة ومع وجود مجتمع مدني مستقل عن السلطة القائمة، وكلاهما مُنعدمٌ في "سوريا البعث" التي عُنيت على الدوام بإقصاء المواطنين وتحويلهم إلى "رعايا" مسلوبي الرأي والفعل السياسيَّين، فهم جماعات وكيانات متعددة قبلية وعشائرية ومناطقية وطوائفية، وهو الوعي الذي تحيل إليه لقاءات رئيس الجمهورية في بدايات الثورة لاحتواء الأزمة من خلال الوفود التي التقى بها، وليس أدل على انعدام المجال العام من أنه لم يُسمَح - لعقود - بنشأة معارضة حقيقية له من الداخل في حين أنه من لا يملك معارضة من الأنظمة السياسية الحديثة يسعى إلى صناعتها وإلا انعدمت الحياة السياسية أصلاً، ولكن في سوريا جرت تصفية كل المعارضين بأساليب شتى، أشهرها تهمتا تهديد الوحدة الوطنية وتوهين عزيمة الأمة أو الإضرار بالمصالح القومية التي لا نعرف لها تعريفًا أو تحديدًا، أما معارضو الخارج الذين لا يُقدَر عليهم، فغالبًا ما يلجأ النظام إلى تصفيتهم معنويًّا بتهم العمالة والتخوين والفساد الأخلاقي؛ لأنه هو الذي يحتكر الوطنية والعروبة والسياسة والوطن الذي تحول منذ عقود إلى ملك عائلي (سوريا الأسد)، أليس غريبًا ألا يوجَد معارض واحد ينال احترام النظام أو اعترافه، فضلاً عن أن يظهر في المجال العام أو على وسيلة إعلامية حكومية؟!.

لم يكن لهذه الممارسات كلها إلا أن تلد العقم الفكري على مدى عقود، كما حدث فعلاً بالنسبة للاتحاد السوفييتي من قبل، الأب الروحي للنظام، فنتيجة غياب المجال العام ووحدانية مصدر الحقيقة تمّ تخليق وعي نمطي مزيف أدخل في عقول السوريين منذ طلائع البعث (المرحلة الابتدائية) مرورًا بشبيبة الثورة (الإعدادية والثانوية) وصولاً إلى عضوية حزب البعث شبه الإجبارية (في الجامعة). أما بالنسبة لعموم المواطنين فقد تكفلت بهم الصحف الرسمية وقناتا التلفزيون اللتان لم يُتَح غيرهما لعموم السوريين لسنين طويلة، وما زلت أذكر كيف كنا نتصيد - بمعاناة - بثًا مشوّشًا للفضائية الأردنية القريبة من الحدود لمشاهدة شيء مختلف!.

لم يتغير شيء في عقل النظام في ظل انفتاح الفضاء أمام القنوات وتقنيات التواصل والبث، ولم يدرك النظام أن المجال العام بدأ يتفلت من سلطانه، فقد طرأ من ينافسه على تقديم المعلومات والحقائق والرؤى والتصورات، بدأ يتشكل مجال عام خارج حدود إرادته وروايته الرسمية، حاول كثيرًا فلْتَرته، ولكن لم يجد بُدًّا من الإفساح له بحدود، بل كان الإفساح له عنوانًا لحداثة يقودها الابن الشاب المثقف الذي سيصبح رئيسًا فيما بعد، هذا المجال الذي تشكل وتبلور كان أحد إرهاصات الثورة الوليدة، أدرك النظام أنه غير قادر على سد الفضاء كالسابق، فاتبع سياسة التشويش ولجأ إلى التشكيك بكل "الآخرين" بوسائل متعددة، فتارة يرسل معلومات مضلّلة ثم يعود فيكذّبها، وتارة يخترع "تأويلات صديقة" لواقعة من الوقائع، وثالثة يسعى إلى تشتيت الوعي وصرف الأنظار عن الجثة إلى اسم الضحية، أو عن القضية الجوهرية إلى واحدة من التفصيلات الفرعية، ورابعة يتَصَيّد أخطاء الآخرين ويُصَيّرها خطايا ومؤامرات!.

وفي المقابل، صعِدت معارضات عديدة إلى المجال العام، بعضها قديم، وكثيرٌ منها جديدٌ أفرزه الواقع المتغير، قيل الكثير عن تشتت المعارضة السورية وتناقضاتها وصراعاتها، وهو ما بدا عَصِيًّا على الفهم، ولكن ولادة المجال العام السوري يفسر إلى حد كبير ما جرى، بعد عقود من التغييب والتنكيل بالحياة السياسية وبالمعارضة، فلم يكن ثَمّ فسحة لتكوين "مجتمع سياسي" سوري، وعندما سنحت الفرصة وُلدت مخاضات عديدة وبرزت أفكار ومراهقات سياسية على السطح أمام الملأ وهي آخذة في النضج أكثر فأكثر؛ لحداثة التجربة وتجدد السياقات.

راهنَ النظام ورأسه على أبدية الحالة السورية التي طبعت شخصية السوريين للعقود الأربعة الماضية، ولم يخالج بشارَ الأسد شكٌّ في عقائده المطلقة حول السلطة والشعب والحب والطاعة والخوف، والأهم من ذلك عن الحقيقة المسيسة على الدوام، كان النظام مطمئنًّا لاستئصال السياسة، ولعقيدة الخوف، فصرّح قبيل الثورة بأنه ليست الثورة مستبعدة فقط، بل حتى الإصلاح يحتاج إلى جيل أو جيلين؛ لأن الشعب غير مُهيَّأ لذلك، ولكن وقائع الشهور الماضية كشفت عن أن وعي السوريين سابقٌ على وعي النظام الحاكم، وبرهنت على نضج سياسي وقيمي كبير لا يتوفر الحد الأدنى منه لدى النظام، كما أن النظام نفسه كان أول ضحايا تغييب فكرة الرأي العام المتصلة اتصالاً وثيقًا بفكرة المجال العام، فقد اخترع - على الدوام - الرأي العام الذي يريده ورَكَن إليه حتى صدّقه، وهذا ما يفسر حالة الإنكار المستعصية التي يعيشها النظام والمؤمنون به، فطول العهد كاد يُطيح بوجود فكرة الاختلاف أصلاً فضلاً عن أن يوجد مختلفون أو مخالفون، وهو ما يفسر كذلك حالة العنف اللفظي لألسنة النظام تجاه المتظاهرين والمعارضة على السواء.

إذًا لقد تَخَلق المجال العام السوري من جديد، وقرر كثيرٌ من السوريين الانخراط فيه والإسهام في بنائه، وسنشهد مخاضات عديدة وتناقضات متنوعة العناوين حتى يستقر المجال العام نفسه ويتبلور رأي عام سوري حقيقي ومعبر عن تطلعات الشعب وقيمه.

الدكتور معتز الخطيب

العبودية الطوعية (1)

روى لي أحد الأصدقاء أن جده بكى بكاء شديدا عند سماعه نبأ وفاة حافظ الأسد. الأمر إلى هنا لا يبدو مستغربا كثيرا، لكنه لن يبقى كذلك إذا ما علمنا أن المتوفي كان سببا في نفي عم صديقي خارج البلاد حارما جده من رؤية ابنه البكر طيلة عقدين من الزمن!

في موقف منفصل، وغداة اندلاع ثورة الخامس عشر من آذار في سوريا، التقيت هنا في فرنسا بشاب سوري، فسمعت منه عبارات تأييد للرئيس الآبن، لم أسمعها آنذاك حتى من مؤيدي الداخل. خطر في بالي أن الشاب أتى حديثا إلى أوربا، ولم يلحظ، أو يستوعب، بعد حجم الهوة التي فصلتنا في سوريا الأسد عن باقي أرجاء المعمورة، فما بالكم والكلام هنا عن خامس قوة في العالم! لا، من جديد يأتي الجواب من الشاب، هو في فرنسا منذ سبعة أعوام!

مواقف كثيرة هي تلك التي دفعتني إلى التفكير في ماهية عقول هؤلاء الأشخاص، أو فيما عرف آنذاك بظاهرة "المنحبكجية". رحت من يومها أسأل تارة هنا وأبحث تارة هناك أملا في أن أصل إلى ضالتي. سألت أطباء نفسيين فكان تفسيرهم "متلازمة ستوكهولم" الشهيرة. كنت سعيدا في بادئ الأمر أنني وأخيرا عثرت على الجواب المنشود، لكن سرعان ما اكتشفت أن هذا التشخيص لا ينطبق في أحسن الأحوال على أكثر من خمسين بالمئة من "المنحبكجية" علاوة على الشك الذي بقي يراودني لجهة أن المنطق لا يقبل بوجود ملايين المرضى النفسيين في مجتمع لا يتجاوز عدده العشرون مليون نسمة! عدت للبحث، فقال لي صديقي لم أنت مستغرب، فهناك المنتفع، والخائف، ولاتنسى الطائفيين و.. الخ. آسف، لم أقتنع من جديد، فصديقي غير متخصص في المجال، وأكثر من ذلك، كل هؤلاء لن يشكلوا ما نسبته خمسون بالمئة من تلك المخلوقات. لن أطيل في الشرح، فقد نصحني أحد الزملاء مؤخرا بقراءة مقالة لكاتب فرنسي من القرن السادس عشر الميلادي، تحت عنوان "العبودية الطوعية". لم أصدق نفسي وأنا أقرؤها، وأخيرا عثرت على الكنز المفقود! وجدت من يتكلم كما لو كان سوريا، لا فرنسيا، كما لو كان يعيش معنا اليوم وليس قبل أربعة قرون. هي بضع صفحات، تحتوي على كل الأصناف السابقة، لا بل وأصناف أخرى تشترك في كثير من طبائعها، وللأسف، مع البهائم. كيف لا وكاتبنا العظيم لا يتوانى عن وصف الإنسان بلا حرية بالبهيمة، بل أضل! وهنا وكي لا أطيل أكثر في تقديم الموضوع، سأكتفي بتقديم اقتباسات من مقالة "دو لا بويسي". يقول كاتبنا:

"أود أولا أن أدرك كيف أن عددا من الناس، وعددا من البلدات والمدن، وعددا من الأمم تعاني الأمرين أحيانا على يد طاغية واحد، لا يملك من قوة سوى تلك التي يمنحونه إياها، والذي ما من قدرة لديه على الإضرار بهم إلا بمقدار ما يريدون هم أن يقاسوا. لا ريب في أنه أمر مذهل، ومألوف جدا مع ذلك، حتى ليثير الألم أكثر مما يبعث على الدهشة، لدى رؤية ملايين وملايين من الناس رازحين في العبودية والشقاء وأعناقهم تحت النير، وليسوا مرغمين بفعل قوة قاهرة، لكنهم (على ما يبدو) مفتونين ومسحورين بفعل اسم فرد واحد، ليس عليهم أن يخشوا قدرته، لأنه وحيد، ولا أن يحبوا مناقبه لأنه عديم الرأفة بهم ومتوحش! أي شر هو هذا، أي فسق، بل أي فجور رهيب أن ترى عددا لا يحصى من الناس، لا يطيعون فقط بل يَخنعون، ولا يُسَاسون بل يُمتَهنون. أموالهم ليست لهم، أهلهم ليسوا لهم، وأولادهم ليسوا لهم، حتى حياتهم ليست لهم. يتعرضون بوحشية لأعمال السلب والفجور والعنف، لكن ليس على يد جيش ولا من قبل كتيبة من البرابرة الذين ينبغي على المرء التصدي لهم، دفاعا عن دمه وعرضه، وإنما على يد فرد واحد! وليس ذلك الرجل بهرقل ولا شمشون، بل هو من أشباه الرجال، وغالبا ما يكون الأكثر جبنا والمخنث في الأمة، فهو لم يتنشق رائحة بارود المعارك، بل لم يكد يطأ الرمل في ساح المبارزات. فهل نطلق على ذلك اسم الجبن؟ لو كانوا ثلاثة أو أربعة لا يصمدون لبطش واحد، لبَدا الأمر عجيبا، إلا أنه ممكن. لكن لو كانوا مئة، أو كانوا ألفا يعانون الأمرين بسبب شخص واحد، فهل نقول إنهم لا يريدون الخوض في نزاع معه أو أنهم لا يجرؤون على ذلك! إذا أي آفة هائلة هي تلك التي لا تستحق أن توصف حتى بالجبن، والتي لا تجد اسما بشعا بما فيه الكفاية تأنف الطبيعة منه وترفض اللغة إطلاق اسم عليه؟

إذا، فلنضع خمسين ألف مسلح في مواجهة خمسين ألف آخرين. البعض منهم أحرار ويقاتلون دفاعا عن حريتهم، ويسعى من يقابلهم لانتزاعها منهم، فلأي تتوقعون النصر؟ ومن هم الذين في ظننا يدخلون القتال بإقدام أكبر، منهم من يضع نصب عينيه رغد العيش الماضي بصورة دائمة، فيتوقع في المستقبل هناء مماثلا. يفكرون بما يكابدون طيلة زمن المعركة، بقدر ما يفكرون بما سيعانونه هم وذرياتهم، إذا ما انهزموا. أما الآخرون فليس ما يشحذ همتهم سوى شيء ضئيل من الجشع الذي تخف حدته بغتة حيال الخطر، فتخبو ناره لدى أول قطرة دم تسيل من جراحهم.

إن ما يحصل في بعض البلدان، ومن قبل كل الناس هناك، وفي كل يوم، أن يقوم رجل واحد بإساءة معاملة مئة ألف فيحرمهم من حريتهم، فمن عساه يصدق ذلك لو سمع به فقط من غير أن يراه؟ ولو لم يقع ذلك إلا في بلدان غريبة وفوق أراض بعيدة، وقد رويت لنا، فهل من أحد إلا سيظن أن ذلك مصطنع ومخترع وليس صحيحا؟". سأتوقف هنا عن الاقتباس لضرورة المصادقة على فكرة الكاتب هذه. فالأوربيون هنا حيث نحن مغتربون، لا يصدقون (حتى ولو حلفت لهم بكل مقدس) كل الروايات التي نقصها عليهم عن طبيعة حياتنا في دولة الأسد، ليس لأنهم لا يثقون بنا، بل لأن أحرارا وُلِدوا من آباءٍ وأجدادٍ أحرار، لا يستطيعون تخيل أن ثمة من يقبل أن يكونَ عبدا، طواعية، فيعتبرون رواياتنا بأحسن أحوالها، نكات. أتابع الاقتباس: "إن الشعب الذي يستسلم بنفسه للاستعباد يعمد إلى قطع عنقه، والشعب الذي يكون حيال خيار العبودية أو الحرية،

فيدع الحرية جانبا ويأخذ نير العبودية وهو الذي يرضى بالأذى، بل يسعى بالأحرى وراءه. ولو تكلف شيئا لاستعادة حريته، لما قمت أنا بحثه على ذلك، فماذا يمكن أن يكون أسمى لدى الإنسان من أن يجد نفسه ضمن حقه الطبيعي، وأن يعود، إذا ماصح القول، من كونه بهيمة إلى كونه إنسانا؟

أيتها الشعوب المسكينة والبائسة والحمقاء، أيتها الأمم المكابرة في دائها والعمياء عن نعمتها، أنتم تتراخون فتَدَعون الأجمل والأنقى من رزقكم يختطف من أمامكم. يبدو أنكم إذا تُرك لكم نصف ممتلكاتكم ونصف عائلاتكم ونصف حياتكم، تعتَبرون ذلك سعادة كبرى! أما هذا الويل كله وهذه المصيبة وهذا الدمار، فلا يلحق بكم على أيدي الأعداء، بل الأكيد حقا على يد العدو الواحد، يد ذلك الذي جعلتموه كبيرا جدا على ما هو عليه. بيد أن هذا الذي يسيطر عليكم كل تلك السيطرة ليس له سوى عينين اثنتين ويدين اثنتين وجسد واحد وليس فيه شيء آخر يزيد عن أدنى رجل من سكان مدنكم اللامتناهية، باستثناء الامتياز الذي تهبونه إياه ليتولى تدميركم، فمن أين جاء بذلك العدد الكبير من الأعين التي ترصدكم بها، ما لم تكونوا أنتم أعطيتموه إياها؟ وأنى له تلك الأيدي كلها فيضربكم بها، ما لم يأخذها منكم؟ وكيف يجرؤ على الهجوم عليكم لو لم يكن على وفاق معكم؟ وأي أذىً كان بوسعه فعله لو لم تكونوا شركاء للص الذي يسرقكم ومتواطئين مع المجرم الذي يقتلكم وخونة حيال أنفسكم؟"

وفي توصيفه للحرية، يقول الكاتب: "من نافلة القول في الحقيقة التساؤل إن كانت الحرية طبيعة، إذ لا يسعنا الإبقاء على أي كائن في حال العبودية من دون إلحاق الأذى به، فما من شيء في العالم يناقض الطبيعة العاقلة سوى الظلم، فالحرية طبيعية إذا. لذا فأنا أرى، أننا لم نولد وحريتنا ملك لنا فحسب، بل نحن مطالبون بالدفاع عنها. وإذا كان ما زال هنالك بعض الذين يشكون في الأمر - ممن وهنت فيهم العزيمة حتى باتوا يجهلون هبة الله فيهم - فينبغي أن أمنحهم الشرف الذي يستحقون وأن أرتقي بهم، إذا ماصح القول من مرتبة بهائم في إهاب بشر لأعلمهم حقيقة طبيعتهم ووضعهم، فالبهائم، بعون

الله، تصيح بالبشر الراغبين في سماعها: عاشت الحرية. فالكثير منها يموت فور اغتصابها منه، ومثلما يموت السمك فور إخراجه من الماء، كذلك هي حالها حين تفضل الموت على حرمانها من حريتها الطبيعية. كما تبدي حيوانات أخرى، من أكبرها إلى أصغرها، مقاومة شرسة إذا ما أمسكنا بها، فتدافعنا بمخالبها وقرونها ومناقيرها، حتى يتبين لنا ما الثمن الذي تمنحه لما تفقده. أما وقد وقعت في قبضتنا فإنها تظل تعطينا الكثير من الدلائل البينة على أنها تعرف ما حل بها من ضيم، ولكم هو نافع أن نراها وهي تذوي بدلا من أن تعيش، وتئن حنينا إلى هنائها المفقود، بدلاً من التلذذ بالعبودية. وهكذا، فما دام كل كائن ذو إحساس يشعر بضيم الذل ويسعى وراء حريته، ومادامت البهائم، حتى المخصصة لخدمة الإنسان، لا يسعها أن تطيعه إلا بعد الاحتجاج تعبيرا عن رغبة مخالفة، فأي سوء طالع قد شوه الإنسان - الوحيد المولود حقا ليعيش حرا - حتى أفقده ذكرى كينونته الأولى والرغبة في استرجاعها؟.

حسن الكنجو

من مقالة العبودية الطوعية للكاتب الفرنسي لادو بويسي

زياد الرحاني.. وبروفات الموت

سؤال خطر ببالي منذ بدأ الربيع العربي..
أين أبو الفهم والعقل زينة؟
أين زياد الرحباني؟
هل (نام وكدش الفرشة وتغطى وسمك الحرام؟)
مقتبس من إحدى أغنياته الناقدة..
هل مازال في الفصل الأخير من بروفا موته؟.
أعتقد أنه لم يعد يعني السوريين استيقاظه الآن..
فليبق في ثباته.

زياد الرحباني الذي احتضنه الجمهور السوري مثلما احتضن فيروز وروج له وأحبه حقيقة لما كان يحتويه فنه من نقد للوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في لبنان ناهيك عن أنه كان، أبو الحرية والديمقراطية، في عالمنا العربي..
ماذا عن الربيع العربي سيد زيادو؟

ماذا عن سوريا والقتل الممنهج على أرضها من قبل عصابة بشار الأسد يا أبا الإنسانية؟
أم أن الفن يتوقف هنا ويمشي هناك !!
الله يرحمك يا كارل ماركس لو استيقظت من سباتك ونظرت صوب من عبدوك لأدركت حقاً كيف كبّل مريدوك أفكاراً لك فقدسوك ونسوا صيرورة التاريخ وتطوره..
(لا أقصد هنا الإساءة لأي فكر)..
فأنا أتحدث عن زياد الرحباني الذي كان يدعي الحرية مدخلا لفكره الديالكتيكي كما ادعى.. ولم يخطر ببالي أنه كان يبحث عن تلك الحرية لخدمة ملذاته..
مارح ينقطع النفس الجايبه بهاليومين يا زيادو..
فنحن تنفسنا الحرية ببساطة شعبنا وليس بأيديولوجيات مقولبة لا تستطيع القفز على ماضيها المهزوم تاريخياً..
شكراً جداً جزيلاً

ظل شجرة

وجهة نظر في الفكر المدني في سوريا

يكثر في هذه الأيام، تداول مصطلحات جديدة، كانت غائبة ولعقود عن المجتمع السوري، مثل الديمقراطية، الليبرالية، والمدنية، وفي هذا مظهر عافية لاشك، لأن ذلك يعني عودة المجتمع السوري إلى الحياة بعد طول غياب. ومن أكثر المصطلحات تداولا، مصطلح المدنيّة والمجتمع المدني، والدولة المدنية وإلى ما هنالك ويظهر من خلال الحوارات الدائرة بين شرائح المجتمع المختلفة، أنّ هذا المصطلح لم يتم تناوله بمعناه الدقيق من الناحية الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية وبغض النظر عن ذلك فلا بد من الإشارة بأن الفكر المدني بشكله العام إنما يعني: الإيمان بدولة المواطنة. بغض النظر عن الانتماء العرقي أو الديني أو الفكري، حيث يكون الانتماء في الدولة المدنية للوطن، ويكون الامتثال للقانون، والاحتكام للدستور المتفق عليه افتراضيا بين كل فئات المجتمع.

لكنْ، لنعترف بأنّ الفكر المدني في سوريا تعتريه عوائق وصعوبات جمّة، فهو لا يزال في إطار الحلم الذي نسعى إليه أو لتبنيه على الأقل.

ما تعانيه التيارات المدنية في سوريا، هو حالة من الشعاراتية، أي أنّ الفكر المدني يبقى كشعار مطروح، ولم يتحول إلى مشروع حقيقي يتمثل في سلوكٍ فكري أو سياسي أو اجتماعي، سواء في سلوك الأفراد أو الجماعات أو الأحزاب، حيث نرى أنّ التيارات التي تدعي أنها تنتمي للفكر المدني، لم تستطع التخلص من فئويتها، سواء كانت قومية أو دينية أو عائلية أو قبليّة، فلا تلبث هذه التيارات أنْ تعود إلى دائرتها الضيّقة عندما توضع على أول محك، وهذا يعني فيما يعني أنّ الحالة المدنية غير متأصلةٍ فينا.

وفي خطوةٍ أولى، ولكي تكون الحالة المدنية حقيقية لا بد أن نؤمن وبقناعة بأن مصلحتنا كمجتمع وكأفراد، تقتضي بأن تكون المدنية خيارنا من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية والطمأنينة على مستقبلنا المشترك بكل حيثياته، يجب أن نقتنع بأن المدنية هي الشكل الحضاري لإدارة مشاكلنا الاجتماعية والسياسية والوجودية، حيث يتم تحويل الصراع إلى تنافس بناء يخدم مصلحة المجتمع.

أثبتت الأحداث الأخيرة في سوريا، أنّ الجامع الأقوى بين مكونات الشعب السوري هو عامل الجغرافيا، ومهما حاولنا إقناع أنفسنا بأن مجتمعنا، مجتمع مواطنة. فلن نستطيع، لأننا ببساطة لا يمكن أن نخدع أنفسنا، وكشرط أول للخروج من هذه الحالة، هو اعترافنا بهذا الواقع، الذي ليس هو بالتأكيد طموحنا، بل يجب علينا أن نبحث عن العوامل المتسببة في هذا الواقع ونعالجها بمنطقية وعقلانية.

ولا ننكر وجود شريحة نخبويّة في المجتمع السوري تؤمن بشكل حقيقي بالمواطنة والمدنية كمصلحة حيوية لبناء مجتمع حيوي قادر على النمو والبقاء، ولكنّ الغالبية الجماهيرية لا تتبنى هذه الرؤية بشكل حقيقي، وهذا الأمر بحاجة لتعزيز قناعة المواطن بأن مصلحته تكمن بإقامة علاقات مواطنة، وبدولة القانون على أرض وطن واحد.

ما نحن بحاجة إليه اليوم أكثر من أي وقت مضى، أنْ تحاول التيارات والمجموعات المدنية والأحزاب التي تتبنى الفكر المدني التخلص من أمراضها وتشوهاتها، وأن تكون على إيمان حقيقي بالمبادئ التي تطرحها، وأن تحول إيمانها بمبادئها من إيمانٍ نظري، إلى إيمان حقيقي، وبذلك فقط تستطيع أنْ تكون أحد مكونات المجتمع القادم.

آرام الدمشقي

بات وطني جدرانا باهتة

تشرع كل التفاتة غريبة أشد وجعاً من الاغتراب
روح تلوح في البعيد وتسأل متى كيف أين؟
متى تنتهي آلام أرواحنا
كيف نبدأ من جديد.. وأين نجد الأمل؟
ونحن ما لنا نودع كل ياسمينة معطرة.. بدمع الأمهات
بدمعة خائفة على أخاديد الخدود الذابلة
لحبيبة تودعه بصمت
ورفاق لا صوت لهم سوى، يا الله
يتردد صداها ليملأ الكون
وسنونو هاربٌ، من صوت الرصاص ورائحة الدم
هل علينا أن نختصر آلامنا وأحزاننا ببضع كلمات، وقد نسينا
في زمن الدم، وضاعت حروفنا مع إغفاءة كل ياسمينة
أم علينا أن نكتب.. مهما تقزّمت حروفنا
أمام عظمة عطائهم
فلنكتب.. فالكتابة تعني الاحتجاج

بنفسج

لروح أخي الشهيد

في الليلة التي سبقت الغد جاءني اتصال من أحدهم وأخبرني أن سراقب غداً ستكون هدفاً حقيقياً لطيران الميغ، فأجبته بإذن الله سنكون بأمان.. حذرني وطلب مني أن أخرج أهلي لتوخي الحذر فلم أكترث، فما يصيب سراقب يصيبنا والله حده هو الحامي الستار..

جاء الغد وكانت تلك اللحظات التي فتح فيها محمد كاميرا موبايله كالعادة، وانطلق بركض بحيوية الشباب، وبثورية الأحرار بدأ من حيث كانت الضربة الأولى.. الله أكبر ينادي، طيران الميغ يقصف سراقب 6 / 11 / 2012.. الله أكبر كانت الضربات قريبة، متتالية، سريعة، غادرة، وكان ينبض بالحياة ودمه ينادي: يا الله فرجك.. يا الله نصرٌ من عندك يا رب، كان يتوقف بكاميرته حيث تسقط صواريخ الميغ.. وينادي يا الله، جرأته وقوة قلبه كانت واضحة، وهو يحاول توثيق ما حصل في ذلك اليوم الدامي، وصل إلى باب المشفى، وكنت أسمع لهاثه وهو مسرع بخطاه يتنقل من جريح لآخر وأسمع بكاء أطفال وصراخ شباب وأرى تبعثر الجرحى هنا وهناك، كان الأطباء يخيطون الجراح والمسعفون يحملون الجرحى والمتطوعون ينظمون الحركة والسيارات يزدحم بها المكان، وثمة أناس يبحثون بين المصابين عن أقرباء ويدعون الله ألا يكونوا بينهم.. تابعت الفيديو الذي صوّره أكثر من مرة، وأكثر ما أثّر فيّ مشهد طفلة صغيرة بعمر الورد لم تخط بأناملها عامها الخامس بعد.. شهيدة الورد، سجلت اسمها في تاريخ ثورتنا المباركة، الذي يبدو في الفيديو أنّ محمد تذكر أن له أم وأب وأخت ينتظرونه وقلوبهم ترتجف من الخوف والرعب والقلق عليه، نادى أمه وطلب منها أن تسرع مع إخوته كي يبتعدوا عن المكان المهدد بالضربة القاضية

كان واقفاً عند باب الجيران مع جارنا قرب السيارة التي جهزها وانتظر مع رفيق له، اقترب صوت الطائرة جداً، طلب منه أحد الأشخاص أن يدخل إلى البيت، فأبى وفتح كاميرته مرة أخرى، وكانت هي الأخيرة، ليضيع بين الركام ويختفي..

أين أنت محمد، صرخت بقوة؟ محمد أخوي وينك يا محمد؟

دمعتي التي لم أعد أسيطر عليها، أقنعتني بأنه بات عند ربه شهيداً إن شاء الله.. كل من كان داخل البيت أصيبوا، أبي، أمي، أختي، عائلتي كلها، وضيفتنا، وكنت كلما أخرجت أحداً منهم يسألوني عن محمد، وكنت أقول لهم بخير، وقلبي يقول لا.

ما أذكره أنني ضعت ما بين جرحى هنا وهناك، ومابين عائلة رحلت من المدينة مبتعدة عن الصدمة الكبيرة التي لم نكن نفكر بها يوماً.. ساعة وأكثر ربما مضت، ومحمد غائب عنا، بحثت عنه في كل مكان، ولكن..

عدت للبيت المدمر لأجد أهل الحارة يبحثون عنه حيث كان يقف، فوجدوه بآخر أنفاسه.. كان يتنفس بصعوبة تحت الحجارة..

محمد تأخرنا عليك، وأنت أسرعت للقاء ربك كالطير الحر الذي عشقته، كم كنت تحب السماء والحرية

هنيئاً لك بحياتك الجديدة، أيها الطير المحلّق في أعلى الفضاءات..

محمد، طلبت الشهادة كثيراً ونلتها بإذنه تعالى.

محمد.. بحبك يا خي.

فادي صفدي

عزام..

أريد أن أكتب، لأني أوشكت على الهلاك كي ينتصر الضوء على الظلام..

لكي يفهمني الناس والشجر والأزهار..

بل أريد أن أكتب لكي ننقذ العالم من أيدي هذا السفاح.

لم تغب عني تلك الابتسامة الجميلة المفعمة بالحياة لم..

تغب عني تلك العين الثاقبة التي تنتظر الفجر الجديد..

لم تغب عني سهرات الصيف التي كنا نتساءل فيها عن ماذا وكيف ومتى سينتهي هذا الليل الأسود.

من قال أن كلّ الرجال سواء؟..

من قال أنّ الرجال كلهم يوضعون في كفة ميزان واحدة..

رحمك الله يا عزام..

رجلٌ ترك كل شيء، وسخّر كل شيء يملكه في خدمة ما يرى أنّه مستقبل جديد.

لئن غلبني الشوق والأسى على فقد عزيز، فهذا لا يعني أن نستكين، فالمشوار ما زال طويلاً وعلينا أن نبذل الغالي والنفيس لإكمال ما بدأ به عزام ورفاقه.

لا للطائفية ولا للسرقات ولا للخلاف..

العدو كبير، والمؤامرة كبيرة لكنّ الهدف أسمى..

لن ننساك يا عزام أنت ورفاقك..

سنكمل الطريق الذي بدأتم به..

أنتم أملنا..

أنتم مشاعل النور التي تضيء دربنا..

والنصر قريب إن شاء الله

أحمد خليل

ذكرى اجتياح

أزير رصاص وصرير جنازير، رائحة الموت تنبعث من كل مكان أنفاس خوف الأطفال والنساء تخترق مسامات الجدران، الجو بارداً قاسيا كتلك الوجوه التي تختبئ تحت الخوذ والقبعات، كنت مع الرفاق وافترقنا على تلال من الخيبات، لقد كانت أعدادهم هائلة وآلياتهم مدججة، ونحن لا نملك إلا حفنة بنادق، لم يكن ينقصنا العزم ولا الإرادة، ولا الإقدام، لكن لا بد لصوت العقل أنْ ينتصر فالاندفاع في هذه المواقف تهلكة لا محالة دون أية نتائج، لذا قررنا الافتراق والانسحاب بعد أن قتل منْ قتل من أعز الرفاق.

تركتهم وبقيت أزحف تارة، وأمشي تارة أخرى حابساً الأنفاس قسراً، حتى ظننت أنها لشدة حبسي لها ستنفجر براكينا لتفضح مكاني وتدل علي نكاية بي واريت سلاحي تحت أكوام الحجارة في أحد زوايا الأزقة، ورحت أبحث عن طريق آمن لأخرج من هذا الحصار اللعين، لا أعرف هل اقتربت من بيتي مصادفة أم أنّ القدر ساقني إلى هناك لأشهد ما لم أتمنى يوماً أنْ أراه، كنت قابعاً تحت أحد الجدران عندما استشعرت الأرض تهتز تحت قدمي من وقع المجنزرات والآليات، وراح ينهال منها سيل من الإجرام الذي راح يداهم البيوت الخالية إلا من بعض النساء والأطفال، كان نظري متسمراً بباب بيتي، أعرف أنهم داخلوه لا محالة، أعرف أنهم سيكسرون ويعبثون بكل شيء ويدوسون كل شيء، وجاء إلى خاطري في تلك اللحظة صوت زوجتي الذي يعلو عندما أنسى وأدخل بحذائي داخل عتبة البيت، فكيف بها إنْ رأت هؤلاء الذين كسروا الباب وداسوا بأحذيتهم القذرة فوق السجاد والأثاث، كنت أتجول معهم بخاطري فهل هم الآن في غرفة الجلوس أم في غرفة نوم الأطفال، أم في المطبخ الذي في كثير من الأحيان كنت أشعر أنّ زوجتي تحبه وتهتم به أكثر مني، فما حاله الآن بين أيديهم، أعرف تماماً، أنّ هذا البيت من البيوت المغضوب عليها عندهم، لكن أبعدت هاجس حرقه عله ينجو من شرارة الأشرار، هي السماء، أشعر أنها انشقت فوقي عندما راح الدخان ينبعث من نوافذ بيتي، رباه ارحم ضعفي أمام احتراق بيتي، لا أعرف ماذا تأكل النار الآن، هل بدأت بسرير ابنتي الصغيرة، أم بدفاتر ابني وكتبه، أثاثنا البسيط أم صورنا، وقع أقدامنا، رائحة أنفاسنا، بصمات، أصابعنا، صدى ضحكاتنا، ذكرياتنا، خلاصة أحلامنا، لقد كان كلّ شيء يحترق، وأنا أشتعل بألف نار ونار، تآكلت خيبة وضعفا وعجزاً أمام ما فعله ما كنّا نطلق عليهم حماة الديار، وبدأت أزحف هاربا من كل الأقدار، يا ليته كان كابوسا لأفيق منه لاحقا، أزحف هاربا من كل الأقدار، يا ليته كان كابوسا لأفيق منه لاحقا، لكنني لم أفق إلا على دماء، وموت، ونيران، أكلت وأكلت وأكلت ولا زالت تأكل منّا كل شيء، إلاّ الأمل.

ياسمين تموز

رائحة الحرية

و أنا أخرج عبر الحدود نحو تركيا، تخيلت نفسي قد ودعت ماضياً لا يجب نسيانه، عائلتي من شجرة أخرى، وأياماً تعلمت فيها كيف للإنسان أن يكون إنساناً، وكيف له أن يتخلى عن إنسانيته ويتاجر في أرواح البشر.

عرفت معنى الحياة والموت، وعرفت لمن خلق اللّه الجنة والنار، وأين يتجول الخير والشر، وكيف يتغير الإنسان وسط الأقنعة من مؤيد ومعارض حسب الفصول وغلتها، أو حسب القناعة وكتلتها، وكيف يقتلع الشبيح ياسمينة الثورة، وكيف يسقي الشباب الأرض بدمائهم كي تخرج شقائق النعمان.

عرفت أين كانت تذهب أصوات المرشحين، وكيف تتغلب أصوات المتظاهرين على أصوات الصواريخ، وبين طلقة المدفع والسقوط، يحضر الخوف ويتشكل في أذهاننا شبح مساره، وبين صفير سرعته ننسى البرد والجوع وكل ما حولنا، لكن عندما يبتعد الصاروخ تتبعه أحاسيس الأنانية، فنتجاهل مكان سقوطه مادام لم يثقب سقف بيتنا، لكننا نرجع إلى وعينا لنواسي الضحية الذي حظي بيانصيب الشهادة، كل هذا في ثواني، لأن الوقت هنا أطول.

بعد الخروج من الحدود أعدت ترتيب أوراقي، تاركا ماضي قريب خلفي، أخرجت قلمي لأكتب شيئا، لكن القلم لم يصدق ما أمليت عليه، لم يصدقني فتركته. صفعني هواء بارد برودة العلاقات الاجتماعية، بعد أن خرجت من دفء أسري سراقبي، نظرت إلى البنايات أمامي، وتمنيت لو أن شظية أخطأت فأصابتهم، ليعرفوا أن الحدود مجرد خطوط وهمية، بل مجرد أنانية وضعها الإنسان ليعيش سعيدا بمفرده، هل الحدود تقسم الإنسانية؟ ادعاء باطل..

نظرت إلى السماء، لم أعد أحب السماء الصافية، سماء صافية تعني صوت طائرة «الميغ» تسبق الصوت والصرخات، تشتت أسراب الطير، وتكسر الزجاج.. كل نوافذ البيوت محطمة، لتدخلها الملائكة بسلام، ولتخرج الأرواح محلقة في سماء سوريا. هناك فقط تكمن الحرية..

رشيد بوغانم - المغرب

ياسمين الثورة

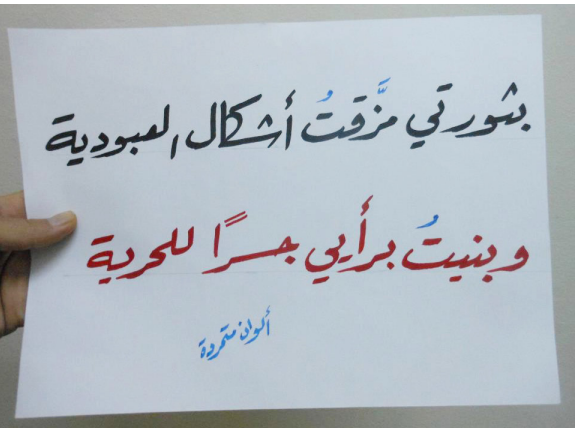

أعوام طويلة مرت علينا، كنا قانعين بسكنى كهوف الذل ومنافي الهوان..

كنا غرباء في أرضنا مهجرون في بيوتنا.. وشاء الله أن يحترق شاباً في قرطاج لتثور له صور..

من قبور قديمة انبعثت رغبة الحياة وكبرياء كان في حالة ثبات.

بنزق الشباب وحكمة القدر وشجاعة الفرسان انبعثوا في الشوارع كالأشباح الخارجة من الظلام مكسرين كل صور الماضي المهين.

دماء ودموع وحيوات كثيرة دفعت وتدفع قرابين للعروس المنتظرة.

وحين شعر شبابنا الثوار أنّ أدباءهم ومثقفيهم نأوا بنفسهم عن هذه الثورة لم يشعروا أنّ شيئا فاتهم بل استلوا اقلامهم وأرواحهم لملأ الفراغ.

ومن قلب الألم كانت الروح تحاول أن تلملم تراثها في الحياة والجمال والثقافة.

وان تجد لها بعدا إنسانيا يؤرخ ثورتها اليتيمة والمؤلمة.

هذه الروح حاولت شعرا.. ورسما.. صورا.. صحفيين.. كتاب.. كركاتورات.. ممثلين أفلام.. تقارير.. نشاطا إنسانيا وإداريا.. مشاغبين.. حكماء..

كانت تبني وطنا جديدا.

ومن بين الركام خرج أهالي قرية كفرنبل بلافتاتهم الساخرة، كم أضحكتنا كتاباتهم في البداية، كانت ومضات ألم ومخاض، تطورت ومضاتهم فأصبحت فنا وأدبا رفيعا فاستحقت بجدارة أن تصبح قبلة لكل من كتب للثورة، كلمات بسيطة ورسوم جدا عادية، لكنها تحوي فكراً إنسانيا ووعياً يفوق المكان.

في دير الزور.. دير الكرامة.. استنبطوا فناً غريباً، كرتونة دير الزور التي لم تخطر على بال أحد في بحثهم عن طريقة لتوصيل أحلامهم، راحوا يكتبون ما يريدون على لوح ثم يقومون بتصويره ونشره على الفيس بوك، كم كنا فخورين بكرتونتهم الصغيرة.

في ريف دمشق.. في ريف الموت.. في ريف الدمار والقصف والمذابح، قاموا بإنتاج جريدتهم أوكسجين ورسموا وجوه أبطالهم وشهدائهم وشعاراتهم على جدران مدينتهم بطريقة صعبة وسريعة بما يسمح لهم الوقت (يفرغون الشكل على ورق مقوى ثم يقوم ببخه على الجدران) لا ننسى حماه كيف أنتجت قاشوش الثورة الذي انتشى السوريون الثائرون بصوته الرائع.

في حمص.. كيف غنى من يحرس مرمى الكرامة لمن يموتون من أجل الكرامة.

مسرحيات للأطفال ومعارض لرسومهم، أغانيهم.

حيطان سراقب، سهرات دوما، صرخات بنش، رسوم الأطفال في كل مدن سوريا، سنديان، سوريتنا، أكسجين، زيتون... جرائد تدمي وجه النظام.

ولمن مايزال يميل رأسه في تسميتها ثورة أن يعيد النظر بأي دماء كتبت تلك الجرائد واللافتات والكراتين والحيطان.

نحن أبناء هذه الثورة وحق لنا أن نفخر بكل ما ترشح من ثقافة وفن حقيقي غير ما كان سائداً وبائداً، لأنها ثقافة صدق، ثقافة شارع، ثقافة ثورة.

رائد رزوق

لن لا يعرفه

قليلة هي الكلمات القادرة على احتضان قامته، وخجولة تلك الحروف النائمة في اسمه لذلك حين تغزو قلاع المفردات تقرع نواقيس الكلام لتحكي عنه تجد الأمر بالغ الصعوبة

أمجد ديبو شاب تخطى العشرين عاما ببضع خطوات لكن كل من عرفه وجلس معه كان يرى فيه رجولة الرجال وحياء الشباب وجمال الابتسامة الخجولة

لم أكن أعرفه قبل الثورة، ولكن رداء الجهاد الذي جمعنا معاً، فوجدته الشاب الواعي المجاهد الهادئ الذي خرج فقط للجهاد في سبيل الله، ولم يرض أن تتلوث يداه بالمتاجرة بدماء الأبرياء.

ولم يقبل بأن يتسلق على جثث الأطفال لجني أرباحا مادية كما فعل لصوص الثورة.

وفي كل معركة خضناها سوية كان مثالاً، للإقدام والشجاعة وحين يغادرنا أحد الشهداء كان يحزن بصمت وكبرياء، وحتى لحظة إصابته أثناء معركتنا في مطار تفتناز كان يستعجل الشهادة ويؤمن أنّ النصر حليفنا وعندما حملناه بين أيدينا وعدنا به ليلا لتستقبله سراقب بأسرها باكية لفراقه كنت أشعر به سعيداً بشهادته..

لذلك نعاهده أننا على دربه سائرون، لا نقبل استسلاماً وتنازلاً عن أي هدف من أهدافنا، ونسأل الله له الرحمة، والصبر لأهله ولكل من أحبه إلى جنان الخلد يا أمجد .

محمود عبد الله باكير

أسبوعية | تصدر عن شباب إدلب الأحرار
السنة الأولى | العدد (4) | 24 / 1 / 2013

دفء الأرواح

غادرت منزلي صباحاً، عبرتني رأد، لامست قلبي وامتدت إلى أوصالي، تساءلت ما الذي يجري؟ هل تغيرت الفيزياء فالجليد يكسو أطراف الشوارع وأشعرُ بحرارة رقيقة، تابعتُ طريقي حتى إذا ما صدفتُ أحدهم يمشي في أحد الشوارع هممتُ أن أسألهُ عن هذه الحرارة التي تغمرني وتدفئ قلبي، بادرني هو بالسؤال قائلاً: أتشعر بالدفء الذي يلفحني؟.

توقفتُ عن الحركة، جلتُ بخاطري في أطراف المدينة وأزقتها، وكلما عبرت شارعاً، أو زقاق، زاد إحساسي بالدفء، حتى إذا ما رأيت أزهاراً تطوف أنحاء المدينة وتمنح الحب هامعاً للجميع، علمتُ أنها أرواح الشهداء، تنشرُ عطرها دافئاً، بالأمس عزامٌ وأمجدُ واليومَ أحمدُ.. شهداءٌ للرحمن نحسبهم لا أرثيه.. هي الأيادي نرفعها للّه، تضرعاً نشكرهُ ونحمده.

حمزة أبرش

أبو مروان أسير محرر

في الأسبوع المنصرم، استقبلت جوباس في حفل كبير وغير مسبوق، حيث تجول الشباب والرجال والأطفال مشاة وبالسيارات في شوارع القرية، سالت دموع الفرح والحزن معاً، وفاءً وتكريما بإطلاق سراح أول منْ رفع راية الثورة في القرية والدفاع عن أبنائها وخدمة أهلها، وبفضل اللّه سبحانه وتعالى كتبت له الحرية والحياة من جديد، إنه البطل حكم أبو مروان الذي اعتقل منذ 14 شهرا.

لقد كان قبل السجن بطلاً، وداخل السجن بطلاً، وقد حدثني عن فن التعذيب داخل المعتقلات فقال لي: إنّ هذا النظام غبي بكل شيء إلا بفن الإجرام والقتل والإرهاب والوحشية فأعترف بذكائه بها، وسألته عن كيفية التعذيب في السجن، فذكر لي واحدة فقال لي:لقد ربطوني من القدمين ويداي ورائي إلى الأسفل بحيث لا تلامس أصابع يدي الأرض وتركوني أربعة أيام متتالية دون ماء ولا غذاء ولا أي شيء، وقالوا له لن نسأل عنك إذا أصبحت ميتا، وقال لي بكل صدق إنّ الموت أسهل شيء، ففي هذه اللحظة ذهلت كثيراً، وأكاد لا أصدق، وفجأة تذكرت برنامج تلفزيوني أجنبي كان يعرض سابقا اسمه أمور لا تصدق فوجدت في النظام السوري المجرم كل الصدق في أمور القتل والإرهاب والإجرام والبشاعة وفن التشبيح ووجدت في النظام كل الكذب في الدين والمعاملة والأخلاق والقيم الإنسانية النبيلة

بالنهاية نقول لأهالي جوباس وحكم وعائلته الكريمة ونخص بالذكر والدته السيدة أم الحكم

مبروك تحرير الأسير أبو مروان والحمد للّه على السلامة وعقبال تحرير الأسرى في سوريا جميعاً.

أبو عمر الإدلبي

كفى

خلف القضبان ومع أوّل تنهيدةٍ تَصحو، تَفركُ عينيها الغائرتين نحو الداخل، المحاصرتان بدوائر من القضبان السوداء. تنهض بتكاسلها الذي أصابها منذ أن فقدت أحد أضلاعها، وتتفقد غرفتها الضّيقة، الوجوه التي امتلأت خوفاً تتجول بين ضحكات الجلّادين و صرخات أبناءها.

هم من لم يدركوا التّوقيت، ولا سيمفونيات الطفولة فكانوا صيداً ثميناً لأنياب الفخ، تنسلّ بين السّوط والألم، تغتالها ذكرياتهم الهاربة من هول الزنزانة ولا تلبث تتخلص من إحداها حتى تدميها الأخرى.

تغتال أيامها الحيرة، تصمت، تَجول بنظرها أنحاء الغرفة، محاصرة من الهواء داخل الهواء. الحيرة التي تداهم أيامها تمطرها بفيض من التساؤلات التي تشبه العبث مع فراغ الصمت. تُرتبُ تَساؤلاتها حسب التسلسل الزمني لحياتها. لا تعرف من أين تبدأ..

لكنها تبدأ بسؤال المكان: أتبكيهم..! أم تخبرهم أن الجنود لا يزالون يتسكعون في الأزقة والمجهول يُخيمُ على البلاد..! ثم كيف.. كيف تقنعهم أن اللّه معهم وهولا يزال متأخراً بسنة ضوئية..! وأنّ صلواتهم أخطأت الوجهة و ضلّت طريقها فوصلت مسامعَ الجنود وحدثَ ما حدث..! وأيضاً.. وأيضاً.. وأيضاً..

تنهمر التساؤلات عليها دون أن تصل محطة الإجابة التي تَحتُ ذاكرتها على ابتكارها.

خلف القضبان تصحو شمسنا من جديد، تغسل قذارة ما رأت، وتتمدد على رمل الشاطئ تحتسي الأمل، تنظر البحر وتركل الموج بقدميها العاريتين، تنادي مَن تبجحوا بحجة العدالة وحقوق الإنسان، ومع أول التفاتة تقفز، تنثر أحلامَنا أمامهم ـ أحلامَنا التي ضاقَ بها الجلّاد وحاشيته ـ وتصرخ في وجه الحياة: « البارحة من نار ونور.. خُطت أسماؤهم. كفاكم محاولة، لستم مثلهم.. بل لنْ تكونوا يوماً».

لارا صبرا

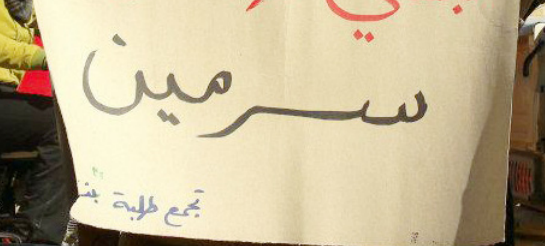

لماذا الثورة؟..

إلى كل الذين يتساءلون هل كان لابد من قيام الثورة في سوريا أم لا؟

- لقيام الثورة في سوريا أسباب عدة نذكر بعض منها وعليك أنت أخي المواطن أن تفكر في هذه الأسباب لتعرف هل كان لابد من قيام هذه الثورة المباركة أم لا؟

- قامت الثورة لأننا وببساطة وإن أردنا أن نخضع لحكم الحزب الواحد فنحن لا نخضع لحزب واحد وحسب، وإنما نخضع لحكم عائلة الأسد وما مت لها بصلة أو نسب.

- قامت الثورة لأن رجل الأعمال رامي مخلوف يمتلك من ثروة سوريا ٪65 أي ما يعادل 11 مليار ليرة عدا حساباته المخفية وعلى الرغم من أن أبيه لم يكن إلا موظفاً صغيراً، ولكنه وببساطة ابن خال الرئيس.

- قامت الثورة لأن سوريا تنتج يوميا ما يقارب 350 ألف برميل من النفط وهذه العائدات لا تدخل أبدا في خزينة الدولة بل في خزينة آل الأسد وعلى الرغم من أنها حق الشعب وحده.

- قامت الثورة لأن النظام يمتلك جيش يأتي في المرتبة السادسة عشر في العالم وعلى الرغم من هذا لم يطلق طلقة واحدة لاسترجاع الجولان.

- قامت الثورة لأن في سجون الأمن والمخابرات السورية من هو مسجون أكثر من ثلاثين عاما دون أي محاكمة أو حتى تهمة.

- قامت الثورة لأن نسبة العاطلين عن العمل ٪40.

- قامت الثورة لأن التعليم أصبح حكرا على الأثرياء فقط بعد انتشار الجامعات الخاصة والمحسوبيات.

وإلى كل الذين مازالوا يعتقدون بأنه لا ضرورة لهذه الثورة لأنهم مازالوا من حلف (ليش الفوضى ما كنا عايشين).

أولاً: هي ثورة وليست فوضى.

ثانياً: نحن لم نكن (عايشين) ولكننا كنا (مناسين)، وأتى الوقت الذي نصرخ به وبأعلى صوت (الموت ولا المذلة).

فكانت ثورة الكرامة ولذلك لا مجال لأن نفكر لأنه كان لابد منها فموت مريح خير من فقر صريح.

عنبر الحرية

مشاركاتكم واقتراحاتكم في جريدة زيتون

مراسلتنا على العنوان التالي

facebook.com/ZaitonMagazine

zaiton.mag@gmail.com

عزام

ابتسم لي وقال سأعود
أيام مضت وأنا انتظرك
أغفو على الدروب
ألملم بقايا رسائلك.. أوراقك.. وأطيافك
مللت الانتظار
تمر بي قوافل العائدين
ويمضي العمر مع السنين
وأنا انتظرك
وأحلم أنّ القادم أنت
القادم أنت

أحمد فرج

لأطفال سوريا

عندما تشرق الشمس الذهبية، يقوم الأطفال باللعب واللهو، وإضاعة الأوقات مع أصدقائهم..

لكنْ أطفال سوريا حين تشرق الشمس وتنشر خيوطها الذهبية، يخافون ويختبئون في الملاجئ مخافة الطائرات التي تنشر القتل والدمار، وطفولتهم تقتل داخل الملاجئ وتحت الخوف..

لكن لا بد وأن يأتي اليوم الذي سيعيش أطفال سوريا تحت السلام والأمان وبلا خوف من الطائرات وقصف ودمار يلعبون ويمرحون في أراضي سوريا الحرة الأبية..

مغردة الحرية - سدرة

انتحار الياسمين

الطائرات تمر تنفث في ذواكرهم خراباً ورهاباً
ريحه تجعلهم يهذون من فرط السؤال اللامجاب
عن البعيد..
أستاذنا: ما الخوف؟
من هذا الوطن؟
ما الدرس يا معلمي؟
و ما الأداة؟
وما الزمن؟
نريد درساً خارج الضرب المجدول للعقول وللجسد
احك لنا عن الجموع
عن أننا ودعنا تأريخ الركوع
شممنا رائحة الجديد
أستاذنا: احك المزيد
عن تمارين التنفس في الوريقات الصغيرة للنبات
هل تبكي عند الخلق
كي تخطوَه فجر الحياة؟
و نحن قبل الشمس لامسنا بأيدينا نداها
قالت لنا: فارس النور أتاها
قبّلها ثم مشى وسط الضباب
احك لنا أستاذنا
عن خطوة أولى تلي خلآ بديهياً نسميه الوقوع
عن فراشات البراري
تذهب في رحلتها نحو الرحيق
ترتدي حلّة ضوء وفضاء
يقتلها عبث المصادفة البسيط
تموت حبلى بالوعود
أستاذنا: من ضربنا وطرحنا
من كل تقسيم أتانا من
دروس موجعات في الحساب
قل للحضور وللغياب:
فوق اليباس مشت خطانا
فأصبنا بالندى
و ابتكرناه السحاب
أستاذنا:
من زهرة الوجع الخلود
من بسمة تتلو الأنين
قد أصبنا بالمدى
و عرفناه التناقض
فامتهناه انتحار الياسمين
و اكتشفنا بدء حل المسألة
أستاذنا:
من لهاث خلف خبز قد عدا
ليصير خيّآلاً خفيفاً من طحين
يضحك منا حين نجريه ويبعد
أستاذنا:
من نزيف مالح خلف الرغيف
قد أصبنا بالسنابل والورود
و عرفناه التناقض
فامتهناها الكرامة
و اجتثثناه المخيف.. مخيفنا
و اكتشفنا بدء حل المسألة

* * *

أستاذنا:
إلى متى سنخاف شنق الورد في وجناتنا
و نخاف شارات التوقف في الوريد
ها نحن أدمنا الولوج معلمي
بكل هذي الأسئلة
أستاذنا: قل للجناة
لا.. لا تقل بل دعنا نرسم رسمنا
نرسمها للطائرات كما نشاء
نرسم شيماء القعيدة
و أمانينا الشهيدة
نرسمها بعض القصيدة
ليظل اللون قوساً
ويظل الظل عرساً
بالأخضر يا معلمي دعنا نلونه الذهب..
ذهب الخريف..
من زهر لوز نرسم الغيم الشتائي فيهدينا السماء

هذي المساحات لنا
ونحن من ينثر ضوءاً والظلال
ليكون الرسم كالحلم ارتجالاً
وانتقالاً.. واحتمالاً
معلمي:
دعه لنا هذا الفضاء
نرسمه ماءاً.. تراباً
و هواء
نخلق الألوان والأبعاد كثرة
نهديها ما بعد البعيد
لا يدري من ظن الحديد يخيف طفلاً من زغب
أو يلوي في شفتيه ظلاً من شغب
أو يغلق الثقوب في جسد القصب
لا يدري أو لا يعترف
أن الطفولة حين يسري نسغها
أو حين تتلوه الوعيد
لكل أشكال المفولذ تخترق
و تفل ألوية الحديد

خالد شلاش